التَّارِيخُ: 26.07.2024

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلاَّ قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ.

كِبَارُ عَائِلَتِنَا هُمْ وَسِيلَتُنَا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

لَقَدْ كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ عِنْدَمَا تَمَّ لَمُّ الشَّمْلِ وَانْتَهَى الشَّوْقُ، كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَعِيشُونَ فَرْحَةَ العِيدِ مَعًا وَيَشْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى. وَلَمَّا دَخَلَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَرَفِيقُهُ فِي الهِجْرَةِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقِ إِلَى مَكَّةَ ذَهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى أَبِيهِ الَّذِي كَانَ يَتَمَنَّى إِسْلَامَهُ بِصِدْقٍ وَأَحْضَرَهُ إِلَى حَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا رَأَى الحَبِيبُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يَمْشِي بِصُعُوبَةٍ قَالَ لِصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ **" أَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟"**[1]. بَعْدَ هَذَا التَّصَرُّفِ اللَّطِيفِ أَسْلَمَ أَبُو قُحَافَةَ وَالِدُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

إِنَّ كِبَارَ أُسْرَتِنَا وَخَاصَّةً وَالِدَيْنَا هُمْ مِفْتَاحُنَا الَّذِي يُوَصِّلُنَا إِلَى رِضَا رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْجَنَّةِ. هُمْ وَسِيلَتُنَا لِلرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. وَهُمْ بَرَكَةُ بُيُوتِنَا وَبَهْجَةُ أَحَادِيثِنَا. وُجُودُهُمْ مَصْدَرُ الطُّمَأْنِينَةِ وَالْأَمَانِ، وَغِيَابُهُمْ جَرْحٌ لِلْقَلْبِ وَأَلَمٌ لِلْفُؤَادِ. إِنَّهُمْ أَشْخَاصُ اِسْتِثْنَائِيُّونَ يُحَافِظُونَ عَلَى تَمَاسُكِ عَائِلَتِنَا. عَائِلَاتُنَا وَمُجْتَمَعُنَا أَقْوَى بِوُجُودِهِمْ. وَحْدَتُنَا وَتَضَامُنَنَا أَقْوَى مَعَهُمْ. مَهْمَا كَانُوا كِبَارًا فَإِنَّنَا نَتَغَلَّبُ عَلَى مَشَاكِلِنَا وَمَتَاعِبِنَا بِسُهُولَةٍ أَكْبَرَ بِدَعْمِهِمْ وَدُعَائِهِمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

لَقَدْ قَدَّمَ كِبَارُنَا الْكَثِيرَ مِنَ التَّضْحِيَاتِ لِتَرْبِيَتِنَا. وَلَطَالَمَا أَرْشَدُونَا بِخِبْرَاتِهِمْ. لَقَدْ تَعَلَّمْنَا مِنْهُمُ الْحُبَّ وَالِاحْتِرَامَ وَالْخَيْرَ وَالْعَدْلَ وَالتَّوْقِيرَ وَالْمَوَدَّةَ. لَقَدْ كَانُوا مَلَاذَنَا وَسَنَدَنَا فِي رِحْلَةِ حَيَاتِنَا وَ لَقَدْ نَقَلُوا لَنَا قِيَمَنَا الْوَطَنِيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ. إِنَّهُمْ تَارِيخُنَا الحَيُّ وَذَاكِرَتُنَا الَّتِي لَا يُمْكِنُ اسْتِبْدَالُهَا أَبَدًا. إِنَّ إِبْدَاءَ الِاحْتِرَامِ وَالِاهْتِمَامِ بِكِبَارِنَا هُوَ حِمَايَةٌ لِمَاضِينَا وَضَمَانٌ لِمُسْتَقْبَلِنَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلُ!

إِنَّهُ لَمِنَ الْمُؤْسِفِ أَنَّهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَمُرُّ عَلَيْنَا، يُتْرَكُ الْعَدِيدُ مِنْ كِبَارِنَا الْعُظَمَاءِ وَحِيدًا. كَثِيرٌ مِنْ كِبَارِنَا يَنْتَظِرُونَ رُؤْيَةَ أَبْنَائِهِمْ وَأَحْفَادِهِمْ بَيْنَ أَرْبَعَةِ جُدْرَانَ. فَلَقَدْ أَصْبَحَتْ إِجَارَاتُنَا وَأَعْيَادُنَا تُعْتَبَرُ فُرَصًا لِلْأَلْعَابِ وَالتَّسْلِيَةِ بَدَلًا مِنْ زِيَارَةِ كِبَارِنَا. لَقَدْ أَصْبَحَ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ يَبْحَثُونَ عَنِ السَّلَامِ وَالسَّعَادَةِ فِي الْفَرْدِيَّةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، نَحْنُ أَبْنَاءُ دِينٍ يَأْمُرُنَا بِرِعَايَةِ أَفْرَادِ عَائِلَتِنَا وَكِبَارِ السِّنِّ وَالْأَقَارِبِ، فَلَا يَلِيقُ بِنَا أَبَدًا أَنْ نُفَضِّلَ الْحَيَاةَ الْفَرْدِيَّةَ بِالِانْفِصَالِ عَنْ أَهْلِنَا وَالِانْطِوَاءِ عَلَى عَالَمِنَا الْخَاصِّ بِالِابْتِعَادِ عَنْ كِبَارِنَا وَأَقَارِبِنَا. وَقَدْ أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كُلَّمَا قَوِيَتْ عَلَاقَتُنَا بِأَقَارِبِنَا قَوِيَتِ الصِّلَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّنَا[2]، وَحَذَّرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَا يَصِلُ أَرْحَامَ وَالِدَيْهِ وَلَا يَنَالُ رِضَاهُمْ بِقَوْلِهِ:"رَغِمَ أَنْفُ رَغِمَ أَنْفُ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَاهُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا وَ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ"[3].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

يُخْبِرُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ كِبَارَ اليَوْمِ هُمْ شَبَابُ الأَمْسِ وَشَبَابَ اليَوْمِ هُمْ كِبَارُ الغَدِ **"اَللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ"**[4] . لِذَا، فَإِنَّ وَاجِبَنَا اليَوْمَ هُوَ أَنْ نُعَامِلَ كِبَارَنَا بِالشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ. وَيَجِبُ أَنْ نَقُولَ لَهُمْ كَلَامًا طَيِّبًا وَلَا نَكْسِرُ قُلُوبَهُمْ أَبَدًا. وَأَنْ نَتَشَرَّفَ بِزِيَارَتِنَا لَهُمْ وَاهْتِمَامِنَا وَرِعَايَتِنَا لَهُمْ. هُوَ أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ نَقُومُ بِهَا لِتَيْسِيرِ حَيَاتِهِمْ سَتَقُودُنَا إِلَى رِضَا رَبِّنَا. وَهُوَ أَنْ نَسْعَى إِلَى تَنْشِئَةِ أَجْيَالٍ أَوْفِيَاءَ لِقِيَمِهِمْ، مُحْتَرِمِينَ لِآبَائِهِمْ، مُقَدِّرِينَ لِآبَائِهِمْ، مُقَدِّرِينَ لِشُيُوخِهِمْ، نَافِعِينَ لِلْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ.

وَأَخْتِمُ خُطْبَتِي هَذِهِ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**"مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ، إِلا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ سِنِّهِ مَنْ يُكْرِمُهُ"**[5].

---

[1] ابْنُ حَنْبَلٍ،الْجُزْءُ السَّادِسُ، 350.

[2] أَبُو دَاوُدَ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، 45.

[3] الْمُسْلِم،كِتَابُ الْبِرِّ، 10.

[4] سُورَةُ الرُّوم ، 54/30.

[5] التِّرْمِذِيّ، كِتَابُ الْبِرِّ، 75.

الْمُدِيرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْخَدَمَاتِ الدِّينِيَّةِ